التربة وأنواع الأراضي
من خلال اللّغيّة[1] التقنية الفلاحية لقبيلة عبدة المغربية

المصطفى العياطي
طالب باحث في سلك الدكتوراه(التاريخ الاجتماعي)
مختبر المغرب والحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط: التاريخ، التراث والموارد
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش
عبد الرزاق ازريكم
أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الانسانية بمراكش
المغرب

ملخص:

ترتبط بالأمكنة والتجمعات البشرية وكذا بالصنائع والحرف مصطلحات شعبية (خاصة)، وذلك ضمن "لغة تقنية" محلية يتعارف الناس على رسوم ومباني ومعاني كلماتها. يتم تداول هذه الالفاظ العادية بانسيابية بين المتكلمين في اللهجات المحلية والمجالات الجغرافية المتنوعة، وتكون تلك الكلمات حاضرة في معجم التواصل اليومي للأشخاص حسب الأوساط المهنية والأماكن، مع العلم أن عددا من الفاظ" اللغيات التقنية" " يتردد صداها في الامثال الشعبية والاغاني فضلا عن تداول بعضها لتكون أسماء للاماكن في سياق ضبط الاتجاهات و المجالات الجغرافية.

ونظرا لأن "اللغيات التقنية" باتت اليوم مصدرا مساعدا يستجيب لحاجات البحث في مجال اللسانيات والتراث والتاريخ الاجتماعي والانتروبولوجيا متجاوزة بذلك سعة الطوبونيميا من حيث زخم المفردات –على اعتبار أن"اللغيات" لا ترتبط فقط بتسمية الأشياء في إطار جغرافي فحسب، بل تنسحب على كل الأنشطة البشرية والتقنيات والمهارات. لذا نروم ضمن هذه الورقة إلى جمع وحصر أسماء الاتربة من خلال "اللغية التقنية الفلاحية" ببادية قبيلة عبدة المغربية ذات الأصول العربية. ذلك أن الطبيعة الجغرافية لهذه القبيلة وموقعها الساحلي جعلا منها مجالا يتألف من عدة اشرطة ترابية بخصائص تكوينية مختلفة، يتداول الناس اسماءها شفويا مصرين على وضع فوارق بينها، إن على مستوى اللون أو الصلابة والنفاذية، أو على مستوى الخصوبة والقابلية للاستغلال الزراعي وما يترتب عن ذلك من فرق في أثمان الملكية العقارية حسب نوع التربة. سنعمل على تفكيك رموز وضبط معاني ما تم حصره من أسماء الاتربة، المتداولة في الوسط الفلاحي ببادية عبدة ونواحيها مستحضرين التأصيل اللغوي (العلاقة بالعربية الفصيحة) والاستعمال الاصطلاحي لتلك الكلمات، دون أن نغفل ما تختزنه من حمولات تراثية وتاريخية وذهنية.

Abstract :

Popular terms (specific) are associated with places and human gatherings, as well as industries and crafts, within a local "technical language" in which people become acquainted with drawings, buildings, and the meanings of their words. These ordinary words are used smoothly among speakers in local dialects and various geographical areas, and these words are presented in the daily communication lexicon of people according to professional circles and places, knowing that number of "technical linguistics" words resonate in popular proverbs and songs, as well as some of them being circulated to be names of places in the context of determining geographical directions and areas.

And because "technical linguistics" have become an auxiliary source today that respond to the needs of research in the field of linguistics, heritage, social history, and anthropology, passing the capacity of the toponymy in terms of vocabulary momentum, given that "languages" are not only related to naming things within a geographical framework, but rather apply to all human activities, technics and skills. Therefore, within this project, we aim to collect and inventory the names of the tribes through "agricultural technical linguistics" in the area of the Moroccan Abda tribe with Arab origins. This is because the geographical nature of this tribe and its coastal location made it an area consisting of several strips of soil with different compositional characteristics that people circulate their names orally, by insisting on making differences among them, whether on the level of colour, hardness and permeability, or on the level of fertility and susceptibility to agricultural exploitation and the resulting consequences in difference in property prices according to soil type. We will work to deconstruct the symbols and control the meanings of the identified soil names which circulate in the agricultural community of Abda area and its regions, indicating the linguistic rooting (the relationship to classical Arabic) and the idiomatic use of those words, without neglecting the heritage, historical and mental loads they contain.

مقدمة:

يمكن تعريف التربة بالمفهوم العام، على أنها تلك القشرة المرئية من سطح الأرض المتصلة مباشرة بالركيزة الأرضية الأم. وتشكل هذه الطبقة الرهيفة وسطا إحيائيا مفضلا لعيش عدد من الكائنات الحية والنباتية، في إطار من العلاقات والسلاسل الغذائية.

سنتخذ من قبيلة عبدة المغربية فضاء للبحث، ومن جزء من معجم ساكنتها الفلاحية – تحديدا–مجالا للاشتغال، من أجل تحديد أسماء التربة والأراضي وما يرتبط بها من مميزات زراعية ومائية ورعوية وغير ذلك، علما أن بعض هذه المسميات التي استطعنا جمعها قد حظيت بإشارة بعض المستكشفين الأجانب[1] ضمن بحوثهم في إطار الجولات التي قاموا بها بالمجال المعني خلال فترات متفاوتة، وإن كانت دراساتهم قد غفلت عن ذكر عدد من ألفاظ المعجم العبدي الأخرى المرتبطة بالتربة. وواضح أن التربة بمجال عبدة –هذه المنطقة التي شبهها غير واحد من الأجانب بناحية La Beauce الفرنسية، لاعتبارات طبوغرافية وأيضا بالنظر الى خصوبتها ومردوديتها الزراعية–تتوزع إلى عدة أصناف، تحمل أسماء محددة ضمن لغية تقنية فلاحية خاصة بساكنة هذه القبيلة، وإن كانت بعض المصطلحات منها قد "ارتقت الى مستوى العالمية مثل الترس"[2]. سنقف ضمن هذه الورقة على مصطلحات تنحدر من لغة السكان الاصلية (العربية) أو تلك التي استمدوها من لغات اعجمية دخيلة. وغني عن القول كما أن مضامين هذه المصطلحات التي سنأتي على بيان معانيها قد تنزاح قليلا لتأخذ معاني أخرى ،بحسب الخصائص العرفية والتمثلية و الاجتماعية لهذا المدشر أو تلك القرية أو ذلك الإقليم ،ضمن اتحادية قبائل عبدة الكبرى.سنتناول بالدراسة أسماء الأتربة التالية مرتبة ترتيبا ابجديا:

–بياضة–الترس–الحروشة–الحصبة/الحصباء–الحمري–الحمري/امتيرسة–الرمل–الضرس–الفكرون–المرس.

بياضة/Biada:

يبدو أن هذه الوحدة اللغياتية تنحدر من اللون الأبيض الذي هو عكس اللون الأسود. ومن جهة ثانية، فقد ورد في معجم "تاج العروس":" البيضاء: الخراب من الأرض، لأن الموات من الأرض يكون أبيض، فإذا غرس فيه الغراس اسود واخضر". إن هذا المعنى لا يبتعد عن المتداول في اللغية التقنية الفلاحية العبدية، بحيث تعتبر التربة البيضاء غير ذات منفعة في المجال الزراعي، إلا في حالة تخصيبها عن طريق استعمال فضلات البهائم. كما أن الأراضي المكونة من هذه التربة غير ذات قيمة مادية في سوق العقار، وأن أغلب الفلاحين دأبوا على استغلالها في مجال الغراسة و استعمال تربتها ضمن مواد البناء المحلية ، سواء في البناء المدكوك"الطابية" ، أوالبناء بالحجر المشدود بالخليط المعروف محليا ب"البغلي" .

ينتشر هذا النوع من التربة–في الغالب–بالطرقات والمسالك التي تجردت من القشرة الزراعية السطحية، جراء المرور المتكرر للبهائم ذات الحوافر أو العربات المجرورة أو الذاتية التحرك. كما توجد هذه التربة بأماكن محددة من الأراضي الزراعية الموجودة بالتلال المسماة محليا ب "الظهورا"، وكذا بالأماكن شديدة الانحدار الذي يؤدي الى التعرية المائية المتكررة, وتجسد منطقة "بياضة " شمال مدينة آسفي العتيقة–والتي تم بها احداث أول حي خارج الأسوار _خير مثال، حيث نالت هذه الناحية طوبونيم "بياضة"[3] عن جدارة، نظرا لبياض سطح الأرض بها إثر تعرضها لعمليات الحث والتعرية الهيدرولوجية القوية منذ أزمنة خلت، بسبب جريان مياه الامطار المتجهة صوب وادي الشعبة ومنه الى البحر المحيط [4].

الترس/tirs:

تشكل تربة "الترس " السوداء أغلبية مساحة قبيلة عبدة، فهي حسب تقديرات "ارمان أنطونا" المراقب المدني لآسفي وعبدة خلال الفترة الاستعمارية،" تمتد حوالي 70 000 هكتار[5] وتضم مساحة كبيرة ومتصلة شمال شرق القبيلة، وبالأخص سهل سحيم

حسب "جورج إيميل" [6]. وتتميز هذه التربة بمردودية عالية تتراوح ما بين 20و30 قنطار للهكتار الواحد حسب "جورج إيميل" نفسه. ليس بأراضي "الترس" غطاء نباتي، والفرشة المائية بها غورها بعيد، إن لم نقل إنها منعدمة حسب خلاصات دراسات التي انجزها المهندس "روسو"، اللهم وجود بعض الفرشات الصغيرة المنعزلة هنا وهناك فيما يصطلح عليه محليا بالمحاقن.

نسب عدد من المستكشفين الأجانب لفظة «ترس" الى اللغة الفرنسية، فهي وفق تأويلاتهم من"Terrasse" التي تعني حسب معجم "Micro ROBERT" الأرض المستوية. وقد حافظ الفلاحون العبديون على نفس المعنى ضمن خطابهم الزراعي اليومي، فأراضي "الترس" في لغيتهم تعني تلك المساحات الشاسعة المنبسطة، التي لا تتخللها سوى عقبات متموجة وخفيفة الانحدار. لقد حافظت هذه الوحدة اللغياتية على معناها الأصلي، واكتسبت بذلك مدلولا تقنيا راسخا في الميدان الفلاحي في عبدة وفي المجالات الترابية المشابهة مثل قبيلة الشاوية ، حيث "....حافظت [لفظة الترس] على جميع حروفها ما عدا حذف بعض الصوائت وسط الكلمة"[7].

من جهة أخرى فقد درج على ألسنة عموم الناس استخدام هذه الوحدة اللغياتية بمعنى السواد، وهي من الأخطاء الشائعة التي نبه إليها المستكشف "إدمون دوتي"، بقوله:"كلمة "الترس" لا تعني من الناحية الاشتقاقية 'التربة السوداء'، فلا وجود لفكرة السواد في جذر هذه الكلمة"[8]. وتأتي لفظة "الترس" في صيغة الجمع كقول العبديين في سياق أحاديثم : "التوارس غير امشقلبة في فرطميس[9]" وهي ذات الإشارة التي لم يفت "إدمون دوتي" أن ذكرها بقوله:".... فقد سمعنا بعض الأهالي ممن انتزعت أراضيهم في منطقة سيدي بلعباس (الجزائر) يقولون:" خذاو لينا التوارس"[10].

بالعودة الى لغة الضاد، وبالرغم مما يلحق انتقال الكلمات –بصفة عامة–من اللسان الدارج الى الفصيح من تغيرات، نجد أن كلمة "ترس" أصيلة في هذه اللغة. ففي قاموس الرائد مثلا:" ترس –ج، أتراس وتراس وترسة وتروس. ترس من الأرض الغليظ منها." لكن يبقى لدينا إشكال لون السواد المرتبط بصفة الترس، وهنا نجد الجواب واضحا من خلال حديث نبوي شريف وبيت شعري منسوب الى الشاعر ذي الرمة.

الحديث الشريف:

عن عقبة بن عامر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تطلع عليكم سحابة سوداء من قبل المغرب، مثل الترس فما تزال ترفع في السماء حتى تملأ السماء، ثم ينادي مناد: أيها الناس فيقبل الناس بعضهم على بعض هل سمعتم..."[11].

البيت الشعري:

وسوداء مثل الترس نازعت صحبتي ** طفاطفها لم تستطع دونها صبرا[12].

يبدو من خلال الحديث النبوي والبيت الشعري أن هناك ارتباط بين كلمة الترس واللون الأسود على مستوى الشبه فقط، والدليل على ذلك استخدام الأداة "مثل"، دون أن يفند ذلك ما جاء به "ادمون دوتي"، الذي يقول بأن لا علاقة للسواد بجذر كلمة ترس على المستوى الاشتقاقي.

الحروشة/**L'hroucha**:

جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة أن " أحراش(جمع)، مفردها حرش وحرش، أراضي تغطيها الأشجار...."، وهو تعريف يتقاطع –إلى حد ما–من حيث الدلالة مع معنى "الحروشة" عند فلاحي عبدة، الذين دأبوا على إطلاقه على الأراضي التي بها خشونة، أي الأراضي "الحرشاء" " التي ليست في الحقيقة إلا أراضي "الرمل" أو "الحمري"، متناثرة على سطحها حجارة مختلفة

الأحجام"[13]، مع غطاء نباتي متنوع قوامه شجيرات قصيرة مثل الرتم والنخل القصير (الدوم) والبرواك والجرنيج والطلح وأنواع كثيرة من الشوكيات. ولذلك فإن أراضي "الحروشة" لا تشجع على استخدام الآلات العصرية في الزراعة، بحيث يكتفي مالكوها-إلزاميا- باستعمال الوسائل التقليدية كالمحراث الخشبي أثناء عملية الحرث، والمنجل أثناء عملية الحصاد وغير ذلك.

وعلى الرغم من أن أراضي" الحروشة" تهيمن في الغالب على المجال الانتقالي الفاصل بين أراضي بلاد الساحل الصخرية وأراضي بلاد "الترس" من بادية قبيلة عبدة ، إلا أننا نلاحظ وجود بعض جيوب "الحروشة" منعزلة في عمق بلاد "الترس"،و ذلك ما تؤكده طبوبونيميا المجال بوجود أماكن تحمل أسماء من قبيل: "الحرش" و"لحريش" أو "الحروشة".

الحصبة/الحصباء:Al hasba

الجذر اللغوي لهذه الكلمة هو (ح ص ب)، وتعريفه حسب معجم "الغني"،"كثر الحصب في الساحة: صغار الحجارة. ألقى الحصب في النار: ما يلقى فيها من حطب ووقود"، وكما في محكم التنزيل:" إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون" (الأنبياء، الآية 98). أما معجم "مختار الصحاح" " الحصباء بالمد، الحصى ومنه المحصب وهو موضع الجمار بمنى، والحاصب الريح الشديدة تثير الحصباء....".

وسواء تعلق الامر بالحصبة أو الحصباء، فكلتا الوحدتين اللغيتين لهما نفس المعنى وهو الحجارة الصغيرة، التي يعبر عنها لغة تارة بالحصبة وتارة أخرى بالحصباء. ويطلق سكان عبدة اسم الحصبة [14] على منطقة موجودة بالجماعة الترابية لمول البركي، بعيدة عن مدينة آسفي بحوالي 35 كلم. ويبدو أن العبديين الأوائل دأبوا على استخدام هذا الاسم على شريط من تلك المنطقة، منذ فترة استيطانهم الاول، وهو ذات الجزء الذي اكتفوا بتخصيصه للرعي والانتجاع فقط، كونه غير ذي جدوى في المجال الزراعي. وهناك، وراء قطعان الأغنام "شكلت [منطقة الحصبة] وما تزال مشتلا وخزانا مهما لعيوط الحصبة، بل وحتى لباقي أصناف غناء العيطة الأخرى بالمغرب" [15]. وقد وردت لفظة الحصبة في مطلع عيطة "رجانا في العالي" الحصباوية، التي تروي جزء من مأساة الشيخة حويدة الغياثية المشهورة ب"خربوشة" مع القائد عيسى بن عمر العبدي أواخر القرن التاسع عشر. ومما جاء فيها:

الحصبة ولافة يا بابا

الحصبة ولافة وسروتها عطابة

ياسيدي

.....

الحمري/Al hamri:

نسبة الى اللون الأحمر وإلى الحمرة التي اكتسبها هذا النوع من التراب، نظرا لكونه غنيا بالحديد والطين نتيجة لسلسلة من العمليات الجيوكيماوية التي ظلت تشتغل وتتفاعل منذ الزمن الرابع حسب خلاصات بعض الدراسات، مما دفع بكثير من العلماء الى تصنيف هذه التربة ضمن الأتربة القديمة. وهو نفس ما أكده "ارمان أنطونا" في مونوغرافيته بقوله:"...تتكون من فلزات طينية مختلطة بالكلس والرمل، حسب ظروف متنوعة، بحيث إنها تتميز بوجود أملاح الحديد التي تضفي عليها لونا أحمر فاتحا نسبيا...."[16].

ويطلق فلاحو عبدة اسم "الحمري" على الأراضي الموجودة في شرق القبيلة انطلاقا من منطقة "العكلة" الواقعة بجماعة سيدي التيجي، وكذا بأقصى الجنوب على الحدود مع قبيلة الشياظمة[17]، وتصل المساحة الاجمالية لأراضي الحمري حوالي 80000 هكتار[18]. وهذا لا يعني انعدام بعض الجيوب "الحمرية " في باقي مساحة عبدة وبالأخص على واجهتها الأطلسية. وتتميز تربة "

الحمري" بكونها لا تتطلب كميات كبيرة من الماء، كما أنها تتلاءم وزراعة جميع أنواع الحبوب، كالقمح والشعير والذرة والجلبان والعدس وكذا مختلف أنواع الأشجار كالتين والزيتون.

الحمري–امتيرسة: Hamri-Mtirssa

واضح من خلال تركيبة هذه الوحدة اللغياتية القليلة الانتشار –إلا في أوساط من يستقرون بالقرب من هذا النوع من التربة أو يمتلكون بعض الفدادين منها–أنها عبارة عن أراضي تتكون من تربة وسطى، ناجمة عن الاندماج بين تربة "التيرس" وتربة "الحمري"، بمعنى أنها مجال انتقالي يفصل بين أراضي "التيرس" وأراضي "الحمري"، وهي تربة قليلة الخصوبة خصوصا لما يتعلق الامر بجزء منها يسمى "الرمل–لمتورسي" بسبب صعوبة الاندماج، و يماثل هذا الأخير نوع من التربة سائد ب"الهضاب الجبلية"بالاطلس الكبير الغربي يسميه شلوح الاطلس ب"العيثي".

الرْمَل/R'mel:

يتألف الجذر اللغوي لمفردة "الرْمل" من الأحرف (ر م ل)،" وهو نوع من التراب، واحد رملة، والقطعة منه رملة، وجمعه: رمال وأرمل ". ويلاحظ بأن فلاحي منطقة عبدة يستخدمون هذه الكلمة مع الحفاظ على المعنى الذي يتضمنه جذرها اللغوي الفصيح، ذلك أن "الرْمَل" عندهم هي الأرض المكسوة بالرمل أو التي يغلب على تربتها الرمل، مما يجعلها صلبة وصعبة الإنبات، وهي من أصناف الأراضي المبتذلة"[19]وغير الصالحة للبناء،حتى أن الساكنة العبدية ما تزال "تجتر" إحدى رباعيات عبد الرحمان المجذوب (أحد الوعاظ الشعبيين خلال القرن العاشر الهجري) بشأن تربة الرمل ، ومما جاء فيها:

حيط الرمل لاتعليه يعلا ويطيح ساسو

وتنتشر أراضي "الرْمَل" المكونة أساسا من رمال كلسية رقيقة، على طول الساحل العبدي في شكل تلال ساحلية، بمثابة حاجز طبيعي يفصل بين البحر المحيط وشواطئه والساحل الصخري الفاقد لتربته بسبب عوامل التعرية التي تعرض لها خلال ازمنة غابرة. وتتميز أراضي ‘‘الرمل" بكونها لا تتطلب تساقطات مطرية كبيرة، كما أن غناها بالعيون المائية شجع الساكنة المستقرة بها على مزاولة أنشطة زراعية سقوية في إطار ما يسمى محليا ب "الوجة"، وذلك باستخدام غبار البهائم الذي يجعل من تربة "الرمل" تربة خصبة تعطي مردودية عالية على مستوى مختلف أنواع البقول والمغروسات المتنوعة، التي تمتد إلى أن تلامس الشاطئ مستفيدة من رطوبة البحر الأطلسي.

الضرس/Addarss :

من الناحية اللغوية استخلصنا إجماعا معجميا على أن كلمة الضرس تعني "السن، وهو مذكر مادام له هذا الاسم، لأن الأسنان كلها إناث إلا الأضراس والأنياب وربما جمع على ضروس. والضرس أيضا: أكمة خشنة...". أما عند فلاحي بلاد عبدة–مجال اشتغالنا–فتحمل هذه الوحدة اللغياتية معنى لا يبتعد عن المعنى اللغوي الفصيح، فهو يتصل بطبقة ترابية متميزة توجد مباشرة تحت الطبقة الترابية الزراعية، ويسمونها بالضرس نظرا لكونها تحتوي على أحافير Fossiles مكونة أساسا من أضراس وأنياب وقواقع لحيوانات بحرية مندثرة.

والضرس طبقة ترابية صلبة جدا، وكأنها متماسكة بغراء اسمنتي، طالما حطم كبرياء البيارين وحفاري النطفيات والمطامير والكهوف والقبور وحفر الاغراس، مما كان يدفعهم إلى استخدام الماء كي تتصبح تلك الطبقة سهلة التفتيت Friable.

الفكرون/Fakroun:

يتعلق الأمر بمفردة مزدوجة المعنى في الوسط الفلاحي العبدي، فهي عند الشباب والأحداث تدل على السلحفاة، لكن عند العارفين من الكبار فهي تحيل –إضافة إلى ذلك –على نوع من الأراضي بالقبيلة. وفي كلتا الحالتين، فليس لهذه الوحدة اللغياتية أصل في لغة الضاد، لكن الأستاذ محمد شفيق يلتمس لها أصلا في اللغة الأمازيغية، بقوله:" الفكرون ، السلحفاة/ أفكرون، أفشرون /ج/ تفكران، تفشران، ومن ذلك واد بوفكران/ بويفكران = ذو السلاحف..." [20]. ويقترن معنى هذه اللفظة في اللغية التقنية الفلاحية لقبيلة عبدة–كما أسلفنا–بنوع من الأراضي، تتميز بوجود حائل صلب مباشرة بعد التربة الزراعية يسمى "الصفية" أو "الفكرون"[21]، على اعتبار أن هذا الحائل/الدرع، يشبه من حيث الشكل المحدب والصلابة قوقعة السلحفاة، والتي يتطلب من الحفارين نقرها بعناية باستعمال الفؤوس الحادة، في أفق الاستمرار في عملي الحفر، وذلك عكس أراضي "المرس" أو "الضرس" حيث تغيب هذه الصفيحة الصلبة.

المرس/ **L'Marss**:

لم يسعفنا المسح المعجمي المتواضع الذي أجريناه بين مختلف معاجم لغة الضاد، الورقية منها والالكترونية، في العثور على المعنى الذي يستجيب لما نطمح اليه في سياق تفكيك هذه الوحدة اللغياتية والتعرف على أصلها ومعناها. ذلك أن المفردات المشتقة من الجذر المشترك (م ر س) متعددة على مستوى الرسم والمدلول. لكن ثمة معنى طريف لكلمة "المرس" أورده الأستاذ محمد شفيق في معجمه، حيث ذكر:" المرس، النزل والمحلة، مكان النزول والحلول = أمريسيو، وقد صار للفظة المرس معنى متجمع المطامير، لأن المطامير لا تحفر إلا في أماكن النزول والحلول"[22]. إنه المعنى الأكثر تطابقا مع الذي يتداوله فلاحو عبدة بشأن أماكن مخصوصة ضمن أراضي قبيلتهم. وتتميز أراضي " المرس" حسب المعطيات الشفهية[23] والميدانية بانعدام وجود ما يسمى محليا ب"الفكرون"، بحيث أن عملية الحفر تحيل مباشرة –بعد إزالة القشرة الزراعية–على طبقة أخرى متميزة بنصاعة بياض لونها وبهشاشتها أيضا، تصلح لخزن مختلف أنواع الحبوب وحتى القطاني في مطامير فردية أو جماعية تعد لهذه الغاية، وتحافظ الحبوب بها لمدة طويلة جدا على جودتها، دون أن تصاب بالإتلاف أو تتغير رائحتها.

لعل ما يدل على مكانة وقيمة أراضي " المرس"، ما تختزنه طوبونيميا المجال المغربي عموما والمجال العبدي على وجه الخصوص، من أسماء لأماكن متباعدة تحمل اسم "المرس" تكبيرا أو تصغيرا. نذكر منها ما يتصل فقط بمجال هذه المقاربة، ك "المرس الكبير" بجماعة لبخاتي، و "أمريس" بجماعة أولاد سلمان، وأرض "لمريس" شرق زاوية مسناوة بجماعة دار القائد السي عيسى. ومما يدل أيضا على قيمة هذا النوع من الأراضي، هو تهافت السلاطين والاعيان والقياد والشرفاء عبر التاريخ على امتلاكها. ونذكر على سبيل المثال لا الحصر" مرس السلطان" بالدار البيضاء و " مرس القايد" المنسوب الى القائد عيسى بن عمر العبدي ، و يوجد المرس الأخير قريبا من دوار الكوتات ،يضم سلسلة من المطامير التي كان القائد يخصصها لتخزين مختلف أنواع الحبوب والقطاني.

خاتمة:

أهم استنتاج توصلنا إليه من هذه المقالة، التي حاولنا من خلالها تسليط الضوء على عدد من أسماء الاتربة بقبيلة عبدة، انطلاقا من "اللغية التقنية الفلاحية" المتداولة لدى فلاحيها، هو أن اللغيات التقنية العامية الرديفة للغات العالمة، والتي تخص كل واحدة منها مجالا حياتيا محددا أو نطاقا جغرافيا معينا،يمكن اعتبارها – الى جانب الطوبونيميا — مصدرا وعلما مساعدا ، يمكن الركون اليه في مقاربة وفهم العديد من القضايا والاشكالات اللغوية والاجتماعية والذهنية التي تتميزها طائفة بشرية عن أخرى . على اعتبار أن "اللغية التقنية" جزء من لغة التجمع البشري ، لا يقل اهمية عن لغته الأم التي بين دفوف المعاجم ،فهي منتوج مباشر صادر عن الأنشطة و العلاقات اليومية للناس ، وبما أنها كذلك فهي تكتسب هوية اجتماعية أو جغرافية ، نستشفها لأول وهلة من وحداتها العامية البسيطة و"المبتذلة" أحيانا.

فإذا كانت اللغات العالمة قد نالت حظها من الدراسة الأكاديمية، فإن اللغيات التقنية ما تزال –فيما نعلم–لم تنل الاهتمام اللازم، وإذا ما حصل ذلك فإن الأمر سيفتح –لامحالة –آفاقا واسعة لدراسة اللهجة المغربية واللهجة العبدية على وجه الخصوص، بل أن الاهتمام بهذا الدرب البحثي سيحيل مجتمع البحث على جوانب تاريخية وتراثية واجتماعية وثقافية في غاية الأهمية من الناحية العلمية.

الهوامش:

[1]– نقصد بذلك كلا من "إدمون دوتي" و"ارمان أنطونا" و "جورج إيميل" و "أوجين أوبان " وغيرهم.

[2]– القاسمي ، إدريس، مادة التربة المغربية، معلمة المغرب، الجزء السابع،الصفحة2311

[3]– يوجد حي سكني بنفس الخصائص يحمل اسم "بياضة ، بمركز جمعة سيدى رحال بإقليم الحوز.

[4]–نظرا لأن الشعاب الموجودة بالمنحدرات الجنوبية لمنطقة بياضة، كانت تشكل مصدر تغدية وادي الشعبة الذي كان يمتلئ بالمياه المنهمرة من هناك، فقد باشرت سلطات الحماية سنة1943 مسطرة نزع الملكية من اجل المصلحة العامة لبعض الأراضي المنحدرة التي وصفتها ب «.... عقارات بيضاء كثيرة الانحدار لا يمكن البناء فيها ولا الإنتاج كذلك..."(قرار وزيري مؤرخ في 3غشت سنة 1943، صادر بالجريدة الرسمية للدولة المغربية الشريفة المحمدية عدد 1522 بتاريخ27 غشت 1943م، ص921).

[5]– أرمان، أنطونا، جهة عبدة، ترجمة: علال ركوك/محمد بن الشيخ، مراجعة /احمد بنجلون، تقديم: احمد زاكور،2003، ص،105.

[6]- Géorge Aimel, Safi et sa région, Exposition Franco-Marocaine, Casablanca, 1915, p, 26.

[7]– غزالي، المصطفى، اللغية التقنية الفلاحية، جهة الشاوية ورديغة نموذجا، مساهمة ضمن: ” Les technolectes/Langues spécialisées en context plurilingue.” Coordination: Leila Messaoudi et Pierre Lerat. –جامعة ابن طفيل القنيطرة.

[8]– إدمون، دوتي، مراكش، ترجمة: عبد الرحيم حزل، منشورات مرسم، الرباط 2011، ص،187.

[9] - "فرطميس"،اسم لسهل يمتد من اقصى الجنوب الشرقي للجارة التاريخية دكالة مرورا بمدينة جمعة سحيم –حيث يتحول الى سهل سحيم – وصولا الى تخوم آسفي.و يتميز هذا السهل بتربة الترس السوداء، التي تعطي مردودية عالية ،على مستوى كافة المحاصيل الزراعية خلال السنوات المطيرة ،و يكتفي المزارعون هناك بتسميدها فقط باستعمل فضلات البهائم المعروفة ب "مازير ".

[10] . إدمون، دوتي، مرجع سابق، ص،187.

[11]– الرازي، ابن ابي حاتم، تفسير ابن ابي حاتم محققا الجزء السابع، ص2275. ar.Lib.eshia.ir/41710/7/2275تاريخ الاطلاع 2مارس 2022م على الساعة 11و30دقيقة.

[12]– ديوان ذي الرمة، قدم له وشرحه: أحمد حسن سبج، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1415 هج–1995م. ص،88.

[13] -أرمان، أنطونا، مرجع سابق، ص،105.

[14] - أفادني أحد االاشخاص من معارفي بوجود منطقة تسمى ب"أرض الحصبة "بجماعة المطران إقليم سيدي بنور، وتتميز تربتها بنفس خصائص ومواصفات منطقة الحصبة العبدية

[15]–شتيوي، أحمد، العيطة الحصباوية من التأسيس النظري إلى استنطاق النصوص–محاولة في التوثيق–، تقديم: علال ركوك، منشورات جمعية البحث والتوثيق،2016. ص،33.

[16] _ ارمان، أنطونا، مرجع سابق، ص،105.

[17] -Eugene(AUBIN) : Le Maroc d'aujourd'hui .Librairie Armand Colin ,Paris 1904.p13 .

[18] –أرمان ، أنطونا، مرجع سابق، ص105.

[19]– غزالي، المصطفى، مرجع سابق، ص،54.

[20] – شفيق، محمد، الدارجة المغربية مجال توارد بين الامازيغية والعربية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة "المعاجم"، الرباط 1999م.ص،146.

[21] –تحمل لفظة "فكرون" معنى آخر، حيث تطلقها النسوة على حزام خشن يلبس في العديد من المناطق المغربية، ويسمى كذلك نظرا لوسطه الذي يتخذ شكل قوقعة سلحفاة(درع). ويعتقد أنه يجلب السعادة ويقي من العين الشريرة.

[22] – شفيق، محمد، مرجع سابق، ص.46.

[23] –افادة من والدي عبد الرحمان بن التهامي العياطي، رحمهما الله.